

أ. م. د حسين القاصد

مهرجان المربد ..

غاية التأسيس وصراع الشعر مع النقد الأدبي الموجه !!

اقيم مهرجان المربد الشعري الأول عام 1971 ، وهي خطوة لتأصيل التراث القومي ، حيث المربد الشعري القديم ، وان احبائه يعني احياء الأمة التي تتعرض للمؤامرات التي تؤسس لوجودها وترسيخها السلطة كي يبقى الشعب مستنفرا باتجاه الخطر الذي يهدد البلاد .

وفي افتتاح المهرجان تأتي كلمة رئيس الجمهورية ، التي القاها نيابة عنه وزير الاعلام شفيق الكمالي ؛ وجاءت الكلمة متوافقة مع ما هو متوقع أن يقال ؛ فالحكومة التي لم تتجاوز اعوامها الثلاثة تقول للادباء العرب والعراقيين : (اننا نعيش عصرا تكالبت فيه قوى الشر والطغيان ... ان قضية الانسان واحدة والمعركة واحدة وان تعددت الساحات) ؛ والكلام موجه للادباء والذي يلقيه على مسامع الادباء شاعر ووزير اعلام ، لكنه لم يجزؤ أن يسأل سيده : أن كيف تكون قضية الانسان واحدة ومعركته واحدة ؟ مع من سيتعارك ، وضد من ؟

ثم تؤكد كلمة وزير الاعلام بأن الوزارة قامت (خلال عام 1970 بنشر 177 كتابا في التراث والاعلام والقصة والتراجم والشعر والفن) .

وقد أسهم في انجاح الجلسة الاولى كل من : محمد مهدي الجواهري ، وأحمد عبد المعطي حجازي ، وسليمان العيسى من سورية ، وفؤاد رفقة من سورية، وحسب الشيخ جعفر ، وصلاح احمد ابراهيم من السودان ، وصالح الجعفري ، ومحمد سعيد الصكار ، ويوسف الخطيب من فلسطين . وقد قدم الجلسة محمد مبارك .

ان اسماء كبيرة كهذه ، لاشك انها تجعل المهرجان مميزا وكبيرا ، وان مهرجانا مميزا وكبيرا بهؤلاء ، لاشك انه سيجلب الثناء للدولة الراعية له ، وللحكومة على وجه الخصوص ، حيث تحقق انتشارها وشعبيتها عربيا فتجند الاعلام العربي لخدمتها . اما بقية الجلسات فهي مكتظة بأشهر اسماء المشهد الشعري في العراق والبلدان العربية .

بعد نجاح المهرجان بشهادة المعنيين ، وبعد أن كانت من بين التوصيات ان يكون المهرجان سنويا ، عقد مهرجان المربد الثاني عام 1972، لكنه هذه المرة جاء مكتفا بشعار (الشعر والثورة).

وكان من كلمة رئيس الجمهورية التشديد على الاهتمام بالتراث ، وان تهتم القصاص بقضايا الشعب المثيرة والأمة العربية وهي تحارب ضد عدو شرس . ومع كل هذا الهوس الانتقائي بالتراث ، لأنهم لا يريدون التراث كله ، انما يريدون ما يخدم بقاءهم في السلطة ،، برؤ الدكتور علي الوردي بشجاعة فيقول : (إن الماضي عزيز علينا لكن المستقبل أعز منه) ؛ وعلى الرغم من ان اسماء كبيرة اسهمت في انجاح المهرجان ومن بينها ، نزار قباني ، ومحمود درويش ، ولميعة عباس عمارة وصالح الجعفري ، وسليمان العيسى وحسب الشيخ جعفر ، ومحمد جميل شلش ؛ على الرغم من وجود هذه الاسماء الا ان وقوع الشعراء في فخ الوصايا السياسية التي تلقى في افتتاح المهرجانات جعلهم يدفعون الثمن غاليا من " فنية " قصائدهم .

يقول الدكتور عبد القادر القط ، في ورقته النقدية التي لم تكتف بشعراء المهرجان الثاني بل امتدت آراؤه لتشمل المهرجان الأول (حين جلست استمع بالأمس الى شعرائنا المرموقين واحدا بعد آخر ، احسست اني لا أشهد مهرجانا شعريا ، بل مناحة تقليدية من تلك المناحات التي اصبح يطيب لنا ان نقيمها من حين الى حين لنلطم الخدود ونشق الجيوب ونمارس عقدة " تعذيب الذات " التي يبدو اننا اصبنا بها جميعا . ولقد راجعت ما أنشد في مهرجان المربد في العام الماضي فوجدته يدور في الحلقة المفرغة نفسها ، وقرأت ما أنشد شعراؤنا من قصائد في مهرجان الشعر في دمشق والاحتفال بذكرى ابي تمام بالموصل فإذا بها لاتكاد تخرج عن ذلك الفلك . هزيمة حزيران ، مأساة الأرض المحتلة ، جيل الضياع ، الأمل في المستقبل او اليأس منه).

وبين ما يدعو له أصحاب الشعر الحديث وما يتمسك به أصحاب القصيدة العمودية ، نجد النقد يدخل صراعا هو الآخر ، ومن النقد من يتمسك بالمنبرية والاعتماد على السماع ، إذ يقول " شريف الراس " : (الشعر فن سمعي والرسم فن بصري . فإذا أردتم أن تقطعوا حبالنا الصوتية حتى نتمكن من استساغة أشعاركم ، إذن فارسموا لوحات واركوا الشعر لمن يعرف كيف يقول الشعر) ، وهي دعوة واضحة للخطابية والمباشرة ، والابتعاد عن الصورة الفنية الحديثة التي تدعو للتأمل ، فالشعر حين يكون بصريا لا يسمى شعرا عند شريف الراس لأن الفنية والتخييل تمنع الشعر من واجبه التوثيقي الذي تريده السلطة .) .

والشعر العمودي والشعر الحر " التفعيلة " لم ينج من التدخل السياسي ، فمصلحة السلطة مع الوضوح والخطابية ، مهما كان شكل القصيدة ، لذلك يأخذ الصراع شكلا مبطنا ، فحين تكون القصيدة غامضة تسلط عليها سياط النقد (أيديولوجيا) وحين تكون واضحة يقبلها النقاد على الرغم من انتمائها للشعر الحر ، وبين الصراع الفني والفني الشعر هو الضحية .

لا ضير ولا إشكال في تبني جهة نقدية قضية الحداثة الشعرية ، ورفض الشكل القديم ، لكن المعضلة حين تكون هناك انساق مضمرة خلف الرأي النقدي ، فحين يعطي الدكتور محمد النويهي لقصيدة الجواهري (أيها الأرق) درجة خمسة تحت الصفر ، لا شيء إلا لكون قصيدته عمودية (من يومها صار الجواهري يخاطبه بالبويهي ردًا على نقده لشعره ، ينظر : الجواهري دراسة ووثائق ، محمد حسين الأعرجي: 221) ، واستثنى أحمد عبد المعطي ابن جلدته فهذا هو التعسف النقدي بعينه .

ولكن هل كانت الخطابية صفة ملازمة وخاصة بالشعر العمودي ؟ أليس من بين الشعراء الرواد من كانت قصائده مباشرة وخطابية ومنبرية ؟ ألم يرق السياب بتهنئة الانقلابيين في 8 شباط بقصيدة عمودية ، بعد أن كان قد قطع شوطا في مشروعه الجديد ؟ ألم ينزل للتظاهرات بقصائد عمودية ؟ والأمر نفسه ينسحب على زميلته نازك الملائكة ، ألم تمدح عبد السلام وعبد الناصر بقصائد عمودية ، فإذا اعترض معترض وقال : لكنها نوّعت في القوافي وتنقلت من قافية لأخرى ، فجوابنا : أن قد سبقها إلى ذلك الزهاوي والرصافي ؛ كما أن الجواهري في (أيها الأرق) لم يختلف عن نازك ، وقد نوّع بالقوافي . أما الغموض فأين نجده في قصائد البياتي الخطابية التي كانت أغلبها مباشرة جدا.

إن القضية ليست قضية شكل شعري ولا حساسية من لون على حساب آخر ، إنما هي عوامل كثيرة ، أهمها تسيد الأدب الثوري وتغذيته وتعزيزه على يد زعامتين عربيتين ، بدأ الأمر في أيام عبد الناصر واستغله الحزب الحاكم في العراق بعد أن خدع الآخرين باشتراكه ، فاستقطب الشعراء الشيوعيين الذين هم أكثر التزاما بالأدب الثوري ، فصار الأدب الثوري هو أدب السلطة التي تنادي بالوضوح ومخاطبة الجماهير ، وهو الأمر الذي انخرط فيه حتى أصحاب البيان الستيني في العراق ، فكانت قصائدهم أكثر خطابية من الكلاسيكية القديمة - لاسيما في المناسبات ، وهي محنة الشعر الموجه .

وهو الأمر الذي دفع ببند الحيدري لينعى الشعر قاتلا : (وإذا كان لي أن أتمنى شيئا ، فهو أن يخرج إلينا في المربد القادم الخليل بن أحمد بعضا حجاجية ليؤدب بها شعراء لا يرون عظمتهم إلا في اهانة التراث والأدب وليهدد بها نقادا قصرُوا في واجباتهم ... وليضرب بها من تسول له نفسه أن يعيب بالقيم أو يسيء إلى المقاييس فيرفع ردينا وينال من جيد لهوى في النفس ...) ويقول أيضا : (إذا كان لي أن أقترح تقليد الأوسمة نهجا نعتمه في كل مهرجان ، لاقترح أن يمنح في هذا البرنامج وسام واحد فقط ، نخص به جمهور القاعة على ما أبدى من جلد وصبر عجيبين على تحمل الكثير مما سميناه شعرا) .